وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

المكان وأثره في شعر ابن زيدون

بحث تقدم به الطالب

علي محمد نايف

إلى مجلس قسم اللغة العربية في كلية التربية للعلوم الانسانية
وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية

بإشـــراف

أ. م. د. لؤي صيهود التميمي

١٤٣٧هـ

٢٠١٦م

﴿ الذينَ آمنُوا وتَطمَئِنُ قلوبهُم بذكرِ اللهِ ألا بذكرِ اللهِ تَطمَئِنُ القُلُوب ﴾

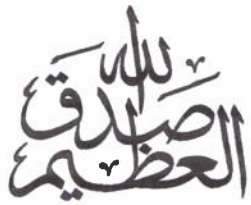

(سورة الرعد : جزء من الآية 88)

الاهـــــداء

إلى سيد الكائنات محمد (ﷺ)

إلى من وهب لي الحياة ...

" أبي العزيز "

إلى التي الجنة تحت أقدامها ...

" أمي العزيزة "

إلى الشجرة التي أسقت وأكرمت ...

" أخواني وأخواتي "

إلى مشرف بحثي تقديراً واحتراماً ...

إلى من وسعني حين ضاقت بي الدنيا ...

" زملائي "

أهدي ثمرة جهدي المتواضع مع خالص تقديري

الباحث

قائمة المحتويات

المقدمة ---------- (١-٢)

المبحث الاول: حرية المكان وتأثيرها (٣-١١)

١- حياته ---------- (٣)

٢- مكانته في المجتمع ---------- (٤-٦)

٣- المكان في حياة ابن زيدون ---------- (٦-١١)

المبحث الثاني: القيد وأثره في شعر ابن زيدون (١٢-٢٢)

الخاتمة ---------- (٢٣)

قائمة المصادر والمراجع ---------- (٢٤-٢٥)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة / الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الامين محمد وعلى اله وصحبه أجمعين ومن تبعهم الى يوم الدين.

وبعد ...

يذهب هذا البحث الى (المكان وأثره في شعر ابن زيدون) من خلال تجربته الانسانية التي عكست الرؤية الشعرية للذات المبدعة وتبين لنا عتبة العنوان أنه لمكان الذي عاش فيه ابن زيدون على مختلف الاوضاع كان له أثر عميق في نفسية الشاعر مما انعكس ضمن الصور والافكار التي ترجمتها الابيات الشعرية في قصائده، وبعد أطلاع ليس بالقليل وجدت أنه يمكن تقسيم البحث الى جانبين

المبحث الاول: يتحدث عن حرية ابن زيدون في قول الشعر وكيف كان ينطلق في قول الشعر دون عوارض أو عقبات تمنعه من هذه الحرية وهذا ما انعكس في المعاني والصور التي وجدناها في قصائده التي قيلت ضمن هذا الجانب

اما المبحث الثاني فلقد تحدثت عن القيد الذي أثر على ابن زيدون في قول الشعر وكيف أنحصر في عدة مواضع من الشعر اي أنه لم يتحدث بكل الاغراض عكس ما كان يقوله في حريته وهذا القيد كان وكما يراه ابن زيدون هو سلسلة مقيدة لافكاره وحريته التي لم يكن يوما" يحسبانه انه سيكون ضمن جدران المرئ آنه وهذا ما أدى الى قول الشعر الذي كان واضحا" فيه القيد ودواعيه.

وثمة كلمة اخيرة اشير فيها الى ان هذه الدراسة ليس من منهجها ان تحيي بحياة الشاعر والظروف التي مر بها انما

Class

دراسة نفسية تبحث عن المكان في شعر ابن زيدون، لذي كان مبعث الحنين والحسرات والاهات ومحرك الشعور والكاشف عن اعماق الذات، المعذبة بسبب فراقها للاهل والاحباب والمغتربة عن الاوطان وكان شعره ظاهرة ادبية متميزة شكلاً ومضموناً.

ولا اقول وانا ابلغ نهاية مطاف رحلتي اني وفيت البحث حقه لكنني بذلت جهدي عون لي لما ابداه من رعاية وتوجيه فاتقدم بوافر الشكر والامتنان له وجزاه الله عني خير جزاء.

Class

المبحث الاول
حرية المكان وتأثيرها

في مقدمة البحث لابد لنا ان نعرف شيئ عن حياة ابن زيدون وعن ثقافته ليسهل لنا الدخول في البحث.

١- حياته: هو ابو الوليد احمد بن عبدالله بن زيدون المخزومي ولد في قرطبة سنة (١٠٠٣م/٣٩٤هـ).

وقد كرس اول سنيه للدرس فأبلغه جده ونبوغه الطبيعي الى الشهرة وهو بعد لم يتجاوز العشرين من عمره.

وكان قد استقى ثقافة واسعه من معين العصر الذي عاش فيه، ملماً بطرف من كل العلوم وبارعاً في الادب نثره وشعره. وقد ساهم الشاعر في الفتنة التي زلزلت اساس الدولة الاموية، فقامت على أنقاضها في قرطبة دولة بني جهور (١٠٣١-١٠٦٨م)

فتقرب ابن زيدون من مؤسسها فأتاله لقب (ذي الوزارتين)[1]

---

① الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ط: الاولى، الناشر: دار الجيل، سنة ١٩٨٦، (٨٢٤-٨٢٦)

٢- مكانته في المجتمع

استطاع ابن زيدون ان يكون له مكانة مرموقة وسط الشعراء في العصر الاندلسي وقد اتصل باكبر الشعراء والاعلام الكبار في هذا العصر على الرغم من صغر سنه، وان ثقافته هذه التي تكونت لديه منذ الصغر تعود الى سببين بحسب الاطلاعات التي اطلعنا على حياة الشاعر.

الاول: جده لامه الذي كان من الاسباب الرئيسية في ثقافته منذ الصغر لانه تكفل فيه بعد وفاة امه وابيه عندما كان صغيرا لان جده ذو مكانة عالية ورفيعة في قرطبة حيث انه من الشخصيات السامية ويعد علم من اعلام عصره كان حازما سديد الرأي.

الثاني: اصدقاء ابيه لان اباه كان على صلات متينة مع كثير من الاصدقاء من ذوي المكانة العالية والسمعة الرفيعة ولا يستبعد ابدا ان يكون مثل هؤلاء الاصدقاء يارين بحرمة صديقهم بابنه فقد ساهموا جميعا في تأديب الشاعر خير تأديب وارضاعه من صنوف الادب والمعرفة الكثير والكثير.

كل تلك العوامل من بيئة صالحة عالية الجاه وثراء كبير وطبيعة جميلة والتجاه عام نحو المعرفة والعلم ساهمت بقدر كبير في خلق شخصية ابن زيدون فلا عجب ان يكون علما من اعلام الاندلس (١)

---

(١) ينظر: ابن زيدون عاشق الأندلس، موفق عبد الجبار محمد، الناشر: دار الآداب والعلوم، مكان الطبع: بغداد، سنة ١٩٨٥، (٢٢-٢٣)

عندما شبّ ابن زيدون نهج فكره وثقافته وشعره ولعلنا نلخص قولنا في قول ابن بسام صاحب الذخيرة في حقه اذ يقول «كان ابو الوليد منثور ومنظوم، وخاتمة شعراء بني مخزوم، اخذ من حسن الايام حرا، وفاق الانام طرا» «صرف السلطان لفظا وحرا ووسع البيان نظما ونثرا». الى اديب ليس للبحر تدفقه ولا للبدر تألقه، وشعر ليس للسحر بيانه، ولا للنجوم الزهر اقترانه»[1]

وقال عنه ابن حيان: «وكان ابو الوليد من ابناء وجوه الفقهاء بقرطبة في ايام الجماعة والفتنة، وبرع أدبه، وجاد شعره، وعلا شأنه، وانطلق لسانه فذهب به العجب كل مذهب وهوّن عنده كل مطلب»[2]

كان ابن زيدون منحازاً لابي الحزم بن جهور وصديقاً لابنه ابي الوليد فقد قام ابن زيدون بدور رئيسي في الغاء الخلافة الاموية بقرطبة وفي تأسيس حكومة جمهورية بن عامة ابن جهور والى هذا يشير ابن حاقان في حديثه عنه

انه «زعيم الفئة القرطبية، ونشأة الدولة الجمهورية» ويقرر ابن دحية انه «زعيم الوزارة القرطبية ونشأة دولتها السنية».

---

① وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، أبي عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: أحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت - سنة ١٩٧٢، الجزء الاول، ١٣٩

② الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبي الحسن علي بن بسام، تحقيق: أحسان عباس، الناشر: دار الثقافة - بيروت، سنة ١٩٩٧، القسم الاول، ٢٩٠ - ٢٩١

③ ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، الناشر: دار نهضة مصر لطباعته والتوزيع - القاهرة، سنة ١٩٦٧، ٢٨

فلما تسلم ابن جهور الحكم استقدم الشاعر وأوكل اليه النظر في اهل الذمة وجعله سفيراً لدى بعض ملوك الطوائف ولقبه بذي الوزارتين (١)

٣- المكان في حياة ابن زيدون :

ينقسم المكان في حياة ابن زيدون الى قسمين :
القسم الاول : المكان الذي يألفه ويرتاح فيه
القسم الثاني : المكان الذي لم يألفه من قبل وكان له كالقيد الاوهو السجن وقد فيه هروبه وسنتحدث عن هذا في المبحث الثاني ان شاء الله تعالى .
اما بالنسبة للقسم الاول فلو قرأنا ديوان ابن زيدون لوجدنا ان المكان الاليف عنده يتمثل (بالبيت ، والقصور ، والمجالس والمدينة ، والاطلال)
اما الطبيعة فاخذت دلالة خاصة وتمثل المكان فيها (بالحدائق والازهار ، والجبال) .

لان بطبيعة الحال ان المكان الاليف هو الذي عشنا فيه وتألمنا معه وعرفنا الف والحماية واصبح كل ركن فيه مادة خصبة لذكرياتنا الجميلة (٢)
فالمكان الاليف ليس مكاناً اعتيادياً وانما هو مكان قد امتزج فيه الخيال باحلام اليقظة . (٣)

---

(١) ديوان ابن زيدون ، يوسف فرحات ، الناشر : دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٩٤ ، : ١٤
(٢) ينظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، شجاع مسلم العاني ، الناشر : دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، الطبعة الاولى ، سنة ... ، الجزء الثاني ، : ٩٩
(٣) المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، : ٨٤

ولقد استطاع ابن زيدون بعبقرية الفنان المبدع ان يظهر اهالة الامكنة ويرسم تاريخ مجدها وفخامة قصورها وقلاعها وجمال طبيعتها وطيب زهرها ورقة نسيمها، فقد كانت قصور تلك الاماكن تنم عن شوقه وتصور ما اثارته لذكرى في نفسه من الحب والحنين لمدينة ترعرع فيها حبه وقضى فيها ايام شبابه وسعادته وكانت اكثر الاماكن التي ذكرها هي (قرطبة) و(الزهراء).

ولقد تحدث الدكتور عدنان محمد عن ذلك اذ يقول ((ولم يستطع اي شاعر اندلسي ان يتجاوز حدود المكان الاندلسي الى ارض الغرب المتراميه حتى جاء ابن زيدون بشاعريته الفذة وقصة حبه الفريدة مع ولادة، القصائد التي عبرت عن هذه التجربة المتنهية فكانت نموذجها الاكمل وهو يتحول الى متعة فنية، والقسوة الواقع وهو يرتسم في قصائد تتدثر رقة وتتوهج شفافية واخترقت هذه القصائد اطار الزمان والمكان لتمنح انشودة الحب الخالد يرددها العشاق في كل مكان ويختزنها في اعماق هواة الشعر الجميل))[1]

اما الطبيعة فقد كانت مسرح حبه، فاذا خلا الربا ذكرته رياضها بنعيم ذلك الحب في ظلالها وكثيرا ما استعر معانيه واحيلته الغزلية منزلها وكانت تثير في نفسه معاني الهوى وتحرك احاسيسه وتصل بينه وبين الحبيبة.

---

① مصادر دراسة ابن زيدون، عدنان محمد غزال، الناشر: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري - الكويت، سنة ٢٠٠٤: ٣

أما عن الحب فقد لعب الحب دوراً خطيراً في حياة الشاعر وفي تلوينه ولما كان تعلق الشاعر بولادة قد ألهبه أروع ما أهاجه من الشعر وفضلاً عن انه خلق له خصوماً أقوياء شوهوا العلاقات بينه وبين أميره ووألحوا في دسائسهم حتى ألقي به الأمير في السجن لكن قبل الدخول في غمار الحديث عن حب ولادة يجب ان نعرف من هي ولادة.

ولادة هي زهرة من زهرات البيت الأموي فهي ابنة الخليفة محمد بن عبد الرحمن الملقب (بالمستكفي بالله) وكان ابوها ساقط الهمة ضعيف الرأي، مشهور بالتخلف والانغماس في الشهوات، اما هي فقد خرجت عكس أبيها فقد كانت (رئيسة الطبع كريمة النفس شريفة الاهل جميلة الشكل، وكانت لا تترك احداً يتصرف في مجلسها ولا بالدرهم الفرد)، اما عن سبب جمالها واختلافها عن ابيها، لان امها أجنبية وجدتها لابيها أجنبية، فلا عجب اذا جاءت (نادرة زمانها ظرفاً وحسناً وأدباً).

وفي هذا يقول المقري (وكان ابوها جاهلاً ساقطاً وخرجت هي على نزاهة الادب والظرف)[1]

---

[1] ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم، ص: ٢٩

اما مواهبها فيقول فيها الضبي ((أديبة شاعرة جزلة القول مطبوعة الشعر تحاظ الشعراء وتساجل الادباء وتفوق البرعاء)) ويقول ابن بسام،

((واما ذكاء خاطرها وحرارة نوادرها فآيه من آيات فاطرها)) ويروي ابن نباته انها كانت ذات خلق جميل وادب غض ونوادر عجيبة ونظم جيد، ويحدثنا بدر الدين الهيتي انها اجيزت بالافتاء والتدريس.

وكانت لها مع هذا موهبة في الموسيقى والغناء وكثيراً ما كان الوضاء يحضرون مجالسها فتنعمون بسمرها ويطربون لحديثها ويسكرون بموسقاها والحانها وكانت قد تحررت من التقاليد بعد سقوط الخلافة الاموية فتحت أرجاء قصرها للحضاء والادباء وبهذا فتحت (صالوناً) ادبياً سبقت به شهيرات فرنسا بعدة قرون فتهافت على ندوتها الشعراء والوزراء مأخوذين ببرقها المغربية وجمالها الخلاب فحشرها الكبراء منهم ولكنها كانت متعاونة فرادتهم انجذاباً اليها، والى هذا يشير ابن بسام بقوله ((يحشوا اهل الادب الى ضوء غرتها ويتهالك افراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها الى سهولة حجابها وكثرة مناسبها تخلط ذلك بحلو نهاب وكرم انساب وطهارة ثواب))(١)

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم، ٢٠:

وأرى أنه عندما فتحت ولادة قصرها للعظماء والأدباء وفتحت صالونا أدبيا تزاحمت عليه الشعراء والوزراء كما ذكرت سابقا فإنه قد كان سببا رئيسيا لمعرفة ابن زيدون لولادة نظرا للمكان الذي فيه والمنصب الذي يشغله كونا عن أنه شاعر مشهور.

عرف شاعرنا ولادة بعد أن بلغ أشده وتبوأ منصب الوزارة ونضجت مواهبه، وكان يغشى ندواتها مع من يغشاها من العظماء مدلا بمكانته أسرته ووفرة ثروته وعلو منزلته وذيوع شهرته في فنون الشعر والنثر والشؤون السياسية، وصادفت ولادة فيه فتى وسيما ملحيا حلو الحديث قوي العارضة رقيق الشعر تامة المكان وصادف هو منها رقة وانعطافا وأنوثة صارخة وجمالا فاتنا فانبعث فيها ميل قوي تدرج إلى حب عنيف

اذا يقول ابن زيدون [1]

اما الضنى فجنته لحظة عنن

كانها والردى جاء اعلى قدر

فهمت معنى الهوى من حيث اطرقني

ان الحوار لمفهوم من الحور

---

① ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم، ٣٥:٦

ولقد قوى هذه العاطفة اتفاق ميولهما ومشاربهما الفنية وصفاتهما الجسمية فكلاهما كان شاعرا "مفتونا" بالموسيقى والغناء وكلاهما كان وسيما "فريدا" حاضر البديهة عذب الحديث وكلاهما من صفوة الطبقة الراقية وسنهما متقاربة وكلاهما اغرب فلا عجب اذا جذب الهوى شبيها "الى شبيهه. (١) فاندفعا مع الحب في تستر وتهون عبر عنها الشاعر بقوله:

احيونك من لحظات الظنون ... واعليك عن خطرات الفكر

واحذر من لحظات الرقيب ... وقد يستدام الهوى بالحذر

لكن هذه العاطفة المشبوبة الثائرة لم تلبث ان اشتهرت واطار ذكرها على كل لسان فلم يجد الشاعر بعد هذا حاجة الى التستر فقال: (٢)

يا من غدوت به في الناس مشتهرا ... قلبي عليك بقاسي الهم والفكرا

ان غبت لم الق انسانا يؤانسني ... وان حضرت فكل الناس قد حضرا

فضاقت ولادة بهذا الاعلان ووجد الخصوم فرصة سانحة فأوغروا صدرها عليه فاعتذر اليها: (٣)

والله ما ساءني اني خفيت عنى ... بل ساءني ان سري بالضنى علن

لو كان امري في كتم الهوى بيدي ... ما كان يعلم ما في قلبي البدن

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم ٦: ٢٦
(٢) المصدر نفسه ٦: ٢٦
(٣) المصدر نفسه ٦: ٢٦

المبحث الثاني

القيد وأثره في شعر ابن زيدون

بداية حديثنا عن هذا الموضوع ومن خلال الإطلاعات على شعر ابن زيدون ليس بمعنى بسلاسل وما إلى ذلك بحقنا وانما القيد هنا هو ما تحكم في قول ابن زيدون للشعر والقيد عند ابن زيدون يتمثل في موضعين:

الاول: السجن

الثاني: الهروب من السجن والابتعاد عن وطنه وحبيبته وسوف نقوم بالتحدث عنها كل في حدة.

اولاً // السجن:

ان السجن ليس مكان ألف وانما هو يحمل صورة من صور العذاب والقهر والعقاب. (وان للسجن اثر كبير في الضغط النفس على عموم من دخله واكثرهم تأثر الشعراء) وذلك لما يحملون من حس مرهف وخيال خلاب

① أدباء السجون، عبد العزيز الحلفي، الناشر: دار الكاتب العربي - القاهرة، سنة ١٩٥٥م: ١١

لقد حوكم ابن زيدون محاكمة ظالمة وصفها هو بقوله في رسالته لاستاذه ابي بكر مسلم بن احمد المتوفى سنة ٤٢٢ هـ[1] قال فيها: ((في علمك ان سجنت مغالبة بالهوى وهو اخو العمى وقد نهى الله تعالى عن اتباعه وذكر انه مضل عن سبيله اذ يقول ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ...))[2].

ويتهم القاضي الذي اصدر الحكم بانه غير عدل اذ يقول في احدى قصائده لابن جهور:[3]

اني الجدل ان وافتك تترى رسائلي ... فلم تترك وضاحا لها في يدي عذل؟

وسبب تهجم ابن زيدون على القاضي ووصفه بانه غير عادل في حكمه لان القاضي ما كاد يسمع التهمة وشاهد الاثبات حتى امر بالقاء الشاعر في السجن مخالفا الاجراءات القانونية المتبعة في هذا الزمان طبقا لمذهب الامام مالك (رحمه الله) وقد نبه الشاعر دون جدوى الى هذه المخالفات واظهرها:[4]

١- اكتفى القاضي بشهادة شاهد واحد وهو مع هذا غير عدل.
٢- لم يعط ابن زيدون فرصة للدفاع عن نفسه واظهار براءته.
٣- احس الشاعر بالجو المحيط به؟ فرض الصلح على الخصوم؟ وهو جائز بين المسلمين طبقا للحديث الشريف ويندب القاضي ان يسعى فيه؟ ولكن القاضي تهرب من هذا الموقف الحرج.
٤- على ان التهمة - مع فرض ثبوتها لا تخول الحبس؟ فقد قرر الفقهاء انه لا يجوز الحبس في الحق اذا تمكن الحاكم من استيفائه والشاعر من الاثرياء
٥- لم يترك الفقهاء امر الحبس فوضى؟ بل حددوا له امدا "لا يتجاوزه عادما" واحدا "في اقسى العقوبات ولكن حبس الشاعر لم يكن له امد محدود وقد طال حتى فر الشاعر من سجنه بعد ان قضى به خمسة ايام.
٦- قدم الشاعر دليل كتابي بوثيقة تبرئه من التهمة فلم يلتفت اليها قاضيه.

١- ينظر: الصلة في تاريخ ائمة الاندلس، ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، الناشر مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، سنة ١٩٥٥، ٥٦٧:
٢- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ابن بسام، ج ١، ٢٤٥:
٣- ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم، ٢٦٧:
٤- المصدر نفسه، ٤١:

Class

(٧) طُرح الشاعر في سجنه بين الأوغاد واللصوص بعد أن كان منفرداً بحجرة فيه طبقاً لنظام السجون الذي كان يميز بين طبقات المسجونين وقد شكا الشاعر هذا دون فائدة أو عناء[١].

ومن هنا بدأت مأساة ابن زيدون لأن كل هذه الأمور تركت أثراً عميقاً في نفسه وجعلته يعيش الغربة الأبدية والشكوى المؤلمة لتوهيل خواطره الذاتية بنفحات حزينة باكية.

اذ يقول:

ظُعنت وكان الحر لحقي ظيعن
وأصبحت أسلو بالأسى حين أحزن
وقرعى اليأس الفؤاد الموطن

وان بلاداً هنت فيها لأهون ومن رام مثلي بالدنية أدنأ
أو الليث في غاب أو الصقر في وكن أو العلق يحظى في الهوان ويحبأ[٢]

---

(١) ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام، ج ١، ق ١: ٢٤٨

(٢) ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم: ١٢٨

ومع حزنه وأساه في السجن إلا أننا نرى أنه ابن زيدون في أشعاره لم يتوسل أو تضرع إلى ابن جهور وذلك لما يمتلكه من كبرياء في ذاته إذ يقول في شعره وهو في السجن.

لا يهنئ الشامت إمرار قاهره ... أني معنى الأماني خايع الخطر
هل الرياح بنجم الرهن عاصفة؟ ... أم الكسوف لغير الشمس والقمر
إن طال في السجن إيداعي فلا عجب ... قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وإن يثبط أبا الحزم الرهن قدر ... عن كشف ضري فلا عتب على القدر (١)

فهنا نرى أنه مع سجنه ظلماً وحزنه إلا أنه كان يقول الشعر بكل تكبر وفخر، وهذا ما نجده في قول الدكتورة رشا الخطيب ((فالشاعر المشهور ابن زيدون الذي ألقاه ابن جهور في السجن على خلفية مؤامرة سياسية لا نجد في أشعاره ذلك التذلل والخضوع الذي وجدناه عند بعض الشعراء بل هو في استعطافه يخاطب ابن جهور مخاطبة الند للند ويوازي نفسه به ولا يتذلل إليه)) (٢)

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم، ٢٥٤:

(٢) تجربة السجن في العصر الأندلسي، رشا عبد الله الخطيب، الناشر: منشورات مجمع الثقافي أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، سنة ١٩٩٩: ٧٧

ونرى من خلال تحليلي البسيط للأبيات التي قالها وهو في السجن انه ينتحر حول موضعين او غرضين وهما العتاب والاستطافة لان ابن زيدون قد عاتب ابن جهور بسبب حكمه الظالم بحقه لانه كان مخلصا ووفيا له فتناها ابن زيدون بقرار ابن جهور فظل يعاتبه في ايامه الاولى في السجن اذ يقول في عتابه وهو في السجن:

ايا الحزم اني في عتابك مائلٌ ... على جانب تأوي اليه العلا السهل

حمائم شكوى هجتك هوادلاً ... تناديك من افنان آدابي الهدل

جواد اذا استن الجياد الى مدى ... تطل فاستولى على امد الخصل

توى هافتاً في مربط الهون يشتكي ... بتصاله ما ناله من اذى الشكل

اني العدل ان وافقتك تتركي رسائلي ... فلم تترك وصفاً لها في يدي عدل

اعدك للجلى واهل ان ارى ... بتعاك موسوماً وما انا بالفضل [1]

ويقول:

بني جهور احرقتم بجفائكم ... جناني فما بال الجوانح تحرق؟

تطيبونني كالمندل الرطب انما ... تطيب لكم انفاسه وهو يحرق [2]

---

[1] ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم: ٢٦٦ - ٢٦٧

[2] المصدر نفسه: ٢٨٥

وفي اخر ايامه في السجن اي قبل هروبه كتب رسالته الجدية واودعها من كتب وشكوى ورجاء ثم شعرا بقصيدة كتب قال فيها:

ايها المؤذني بظلم الليالي ... ليس يوفي بواحد من ظلوم

ما ترى البدر ان تاملت والشمس ... هما يكسفان دون النجوم

وهو الدهر ليس ينفك يحو ... بالمهاب العظيم نحو العظيم

بوأ الله ((جهورا)) اشرف السود ... في السرو واللباب الصميم

واحد سلم الجميع له الامر فكان الخصوص وفق العموم

قلد الفرد التجارب فيه ... واكتفى جاهل بعلم العليم

ايهذا الوزير ها انا اشكو ... والدها بدء قرعها للحليم

ما عسى ان يألف السابق المرتبط في الحق منه والتعظيم

وبقاء الحسام في الجفن يثنى ... منه بعد المضاء والتصميم

بأبي انت ان تشأ ذاك بردا ... وسلاما كنار ابراهيم (١)

فعلى الرغم من ان هذه الابيات تحمل صورة الاستعطاف لكنه قد اوحى بدلالات رمزية وخطاب خفي انه حديث الند للند كما اشرنا سابقا، ومن هذه الدلالات قوله (والدها بدء قرعها للحليم) فمعناها ايها الوزير لقد رفعت اليك بالشكوى لانبهك الى ما وقع علي من ظلم واهمال ان تنتبه اليه وتزيله.

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم: ٢٨٠-٢٨١

أما أشعاره في حبيبته ولادة وهو في السجن فكانت قليله لان اكثرها كان في (العتاب والاستعطاف) كما ذكرت سابقاً فقد كتب قصيدة عذرا عندما طالع القمر وهو في السجن لانه رأى ان القمر معادل لها وبجمالها . اذ يقول في قصيدته (في غيابه السجن) :

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر ... إلا ذكرتك ذكر العين بالاثر

ولا استطعت دماء الليل من أسف ... إلا على ليله سرت مع القمر

في نسوة من سنات لوهل موهنة ... المسافة بين الوهن والسحر

ناهيك من سمر برح تألفه ... شوق الى ما انقضى من ذلك السمر

فليت ذاك السواد الجون متصلٌ ... لو استعار سواد القلب والبصر (١)

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله ، علي عبد العظيم ، ص ٢٥٠

ثانياً // الهروب من السجن وتقريبه :-

لقد عانى ابن زيدون كثيراً وهو في السجن فكتب ما كتب من أشعار ورسائل من عتاب واستعطاف لكي يثبت لهم ان قد سجن ظلماً وليس وعدلاً فحاول كثيراً "لكي يرهن هذا لكن كل محاولته باءت بالفشل ولم يكن امامه حيار اخر غير الفرار والهروب من السجن والابتعاد عن موطنه مجبراً "غير مخير.
ومن المرجح ان ولي العهد ابا الوليد بن جهور صديق الشاعر اعانه على الفرار.
وقد وجد الشاعر بإشبيلية مهداً "وحباً "حيث ارتاح الحاكم منه وقربه اليه وعمره بانعامه ولكن نفس الشاعر كانت تحدثه الى قرطبة موطن صباه ومسرح هواه فكتب الى حبيبته الوئيبة الخالدة التي استهلها بقوله.

اضحى التنائي بديلاً من تدانينا ... ونابَ عن طيب لقيانا تجافينا

وختمها بقوله:

ابكي وفاءً "وان لم تبذلي مهلة ... فالطيف يقنعنا والذكر يكفينا

وفي الجواب متاع ان شفعت به ... بيض الايادي التي ما زلت تولينا

عليك منا سلام الله ما بقيت ... صبابة بك تخفيها فتخفينا (١)

فكانت اشبيلية اول الامكنة التي حسن بها الشاعر بالغربة وعدم الراحة على الرغم من المعيشة الرغدة التي قدمها له الحاكم اشبيلية المعتمد بن عباد الذي يقول في حقه:

وأمنت عادية العدا الاقتال من ... اعهمت في اعلى سناء عماكا

جهد المقل نصيحة ممحوضة ... اقررت مهديها فلا اشراكا

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم، ٤٤

وثناء محتفل كأن ثناه مسك يارد ان الحاف صباكا

ولتدعني وعدوك لشائي فان يوم القراع يجد سلاحي شاكا[1]

فهذه الابيات يخاطب الشاعر المعتمد بن عباد ويشكره على كل ما قدمه له ومن ترحيبه به وحمايته له.

وعلى الرغم من هذا كله يبقى يحن ويشتاق الى قرطبة مكانه ومكان حبيبته فلم يكن له إلا انه قد ذهب الى الزهراء متخفيا لذى قد يكلفه حياته لكنه مع ذلك خاطر بحياته لعله يتصل بحبيبته ويسترد مكانه في قلبها وقد كسب قصيدته الشهيرة (مجالي الزهراء) التي حفلت بمشاعر صادقة ممزوجة بخيال الطبيعة الاندلسية اذ يقول:

اني ذكرتك ((بالزهراء)) مشتاقا والافق طلق ومرأى الارض قد راقا

وللنسيم اعتلال في اصائله كأنه رق لي فاعتل اشفاقا

والروض عن مائه الفضي مبتسم كما شققت عن اللبات اطواقا

نلهو بما يستميل العين من زهر حال الذي فيه حتى مال اعناقا

كأن اعينه اذ عاينت ارقي بكت لما بي فحال الدمع رقراقا

وردة تألق في ضاحي منابته فاردى منه اهضى في العين اشراقا[2]

---

① ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم، ٤٩٩: ٥٠٠

② المصدر نفسه، ١٢٩

ويختمها بقوله:

كان التجاري بمحض الود - مذ زمن - ميدان انس جرى فيه الهوى قدما

فالان اصبح ما كنا لعهدكم سلوتم ونسينا نحن عشاقا

والزهراء هي ضاحية من ضواحي قرطبة أنشأها الخليفة الناصر سفح جبل العروس تخليدا لذكرى حظية له وسماها باسمها وقد لتشييدها ثلث جباية الدولة وكانت تلك الجباية تناهز ٤٠٠ الف دينار - واستمر بناؤها عشرات الاعوام وجلب اليها الرخام ومهرة الصناع من القسطنطينية فجاءت اية من ايات العمارة في القرون الوسطى.[1]

فالشاعر لم يكتب فقط (مجالي الزهراء) في الزهراء وانما كتب رسالة رائعة الى استاذه ابي بكر مسلم بن احمد وهذه الرسالة تعتبر وثيقة تاريخية تلقي اضواء على محاكمته ومعاملته بالسجن ثم اتهامه بفحشة الطائشة البارعة ولم يكتف الشاعر بهذا بل واصل مساعيه عند ولي العهد حتى نجح الشاعر في مسعاه فعفا عنه الامير ولم تمض اشهر حتى مات الامير وتولى الحكم ابنه ابو الوليد بن جهور فصدق الشاعر فبدأت صفحة جديدة في حياة الشاعر[2]

---

① ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم ١٢٩:٦

② المصدر نفسه ٤٥:٦

قرب الحاكم الجديد شاعره وصديقه إليه ورفع مكانته ونوه به وأنسى خيانته واعتمد عليه في السفارة بينه وبين الملوك المجاورين.

لكن لم يكف خصوم الشاعر عنه وعن الدس والكيد له عند حاكمه الجديد حتى استطاعوا أن يوقعوا بينهم ويبعدوا ابن زيدون عن جميع مناصبه، فبعد ما ضاق صدر ابن زيدون بهذه المضايقات قرر أن يراجع مرة ثانية إلى إشبيلية فقد تمت سنة ٤٤١هـ في عهد المعتضد بن عباد بن محمد بن عباد بعد أن فاوض الشاعر المعتضد ووثق بما سوف يكله إليه من مهام رئيسية وقد هاجر من قرطبة فتكثر الأسف عليه كما يقول ابن حيان ولم يتجه إلى إشبيلية مباشرة بل عرج إلى بطليوس فقضى فيها بضعة أشهر اتصل فيها بأميرها المظفر بن الأفطس ومدحه وأثنى عليه أجمل الثناء.(١)

وبقي ابن زيدون إلى جانب المعتضد حتى اضطربت الأحوال في إشبيلية فأرسل المعتضد ولده الحاجب وابن زيدون ليتهدئا وكان شاعرنا كبيرا في السن مريضا فاشتدت عليه وطأة الحمى وتوفي في إشبيلة ودفن منزاله (٤٦٣هـ)(٢)

إذا استطاع أن أقول أن هروبه من السجن لم يكن تحررا من القيد فإنما هو تحرر جسدي لا فكري فحتى هروبه من السجن لم تكن قصائده التي قالها بعد الهروب تحمل في طياتها راحة نفسية له بل العكس نجد كلها عن الغربة والحنين إلى الوطن وطلب المغفرة والسماح من أولياء الأمور آنذاك (الأمراء).

إذا فقد بقي القيد على حاله إذ أنه لم يستطع أن يكتب في الحب والغزل والفخر كما كان يكتب سابقا بكل حرية بل انحصر في مواضيع أكثرها الحنين والغربة وأثرها انعكس عليه.

---

(١) ينظر: ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم، ٤٥-٤٧

(٢) ديوان ابن زيدون، يوسف فرحات، ٦: ١٦

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة والممتعة برفقه شعر ابن زيدون التي هدفت الى كيفية تأثير المكان على شعر ابن زيدون

ويمكن القول ان اهم النتائج التي توصلت اليها تتلخص بالاتي:

① اكتسب المكان اهميته في شعر ابن زيدون لانه فنان مبدع استطاع ان يأخذ ملامح العالم الواقعي ويخرج فيه ذاته ليرسم لوحته الفنية المعبرة فاصبح هذا المكان او ذاك خاضع به وقد جسدت لوحة ((الزهراء)) ذلك المكان الذاتي لشاعرنا.

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا والافق طلق ومرأى الارض قد راقا

② لقد اكتسب المكان في شعر ابن زيدون هويته من صدق الشاعر وعمق المعاناه وشدة الاغتراب الذاتي كما اثر المكان فيه فاكسبه هوية خاصة لذلك جاء معبرا عن تجربة انسانية خالدة.

③ اخذ المكان في شعر ابن زيدون مجموعة من التشكيلات الفنية ابرزها تشكيلات المكان الاليف والمكان المعادي (غير الاليف)

④ اكتسبت بعض الاسماء الى المدن والقصور والقلاع دورها في بنائه الشعري عبر وظيفة التي تؤديها ومن خلال المكانه التي تحتلها في قلوب الناس فالمدن الاندلسية ذلك المكان الجميل والتي تعد اية من ايات العمارة الهندسية الفنية في العصور الوسطى رسمها ابن زيدون في ابدع الصور الفنية.

⑤ لقد مثلت المرأة في شعر ابن زيدون عنصرا مهما فهي الوطن وهي الحب وهي الحياة وقد دخلت صورتها مع تداخل صور الامكنه ويزين بموجدات المكان ومن خلال ذلك تكونت الصور المكانية في سياق جمالي موحد.

«قائمة المصادر والمراجع»

١- القرآن الكريم.

٢- ابن زيدون عاشق الأندلس، موفق عبد الجبار محمد، الناشر دار الآداب والعلوم- بغداد، ١٩٨٥.

٣- أدباء السجون، عبد العزيز الحلفي، الناشر دار الكاتب العربي- القاهرة، ١٩٥٥.

٤- البناء الفني في الرواية العربية في العراق، شجاع مسلم العاني، الناشر دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ط١، ٢٠٠٠.

٥- تجربة السجن في العصر الأندلسي، رشا عبد الله الخطيب، منشورات المجمع الثقافي أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٩.

٦- الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنّا الفاخوري، ط١، دار الجيل، ١٩٨٦.

٧- ديوان ابن زيدون، يوسف فرحات، الناشر دار الكتاب العربي- بيروت، ط٢، ١٩٩٤.

٨- ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، الناشر دار نهضة مصر للطباعة والتوزيع- القاهرة، ١٩٦٧.

٩- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبي الحسن علي بن بسام، تحقيق إحسان عباس، الناشر دار الثقافة- بيروت، ١٩٩٧.

Class

١٠- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، الناشر مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٩٥٥.

١١- مصادر دراسة ابن زيدون، عدنان محمد غزال، الناشر مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري - الكويت، ٢٠٠٤.

١٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبي عباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، الناشر دار صادر - بيروت، ١٩٧٧.